دعوة لمؤتمر بيئي مستقبلي عربي عن الستراتيجيات المائية والحضرية والانقلاب المناخي

ما الموقف من السدود التركية وأي المدن العربية ستختفي؟

عبدالامير الركابي *

■ تتضارب توقعات الخبراء بخصوص مسألة التغير المناخي الناشئ عن الاحتباس الحراري، وبعض الآراء بهذا الخصوص تبدو وكأنها ترفض التصريح، وفي الغالب يلمس المرء قدرا من التحفظ يبديه المختصون متحاشين تصوير الامر وكأنه ذهاب الى «الطوفان»، الا ان «السينما» فعلت ذلك وبعض الافلام (اليوم التالي)، حولت مستقبل الارض الى كابوس مرعب، عموماً فان هياجا مناخيا واضطرابا غير معتاد يلف المعمورة، ومهما قيل فان السنوات العشر الاخيرة، كانت مضطربة مناخيا، وتسببت بكوارث غير مسبوقة، ولكن حتى هنا يميل الخبراء حين توجه اليهم الاسئلة، الى نفي دخول الارض حاليا في ما يمكن تسميته «انقلابا» مناخيا، والبعض منهم يصر على ان ما نراه من كوارث، هو من الاحداث الطبيعية، وان تاريخ الارض عرف مثل هذه التقلبات من قبل، وكل ما في الامر هو اننا اصبحنا اليوم اكثر اطلاعا على الاحداث والمجريات المناخية، وان تطور وسائل الاتصال والصورة، وسرعة وصول الاخبار، قد اسهما في تجسيد واقع، كان في الماضي يمر متقطعا ومتباعدا، والجهات التي تقول ذلك، تحتج عادة بالاحصاءات والارقام، وهي بالطبع المصدر الذي يملك تلك المعلومات ويخزنها، ويمكنه ان يبرزها وقت يشاء ليحاجج بها.

غير ان هذه الجهات هي ذاتها، تشترك مع بقية المهتمين والمختصين، في الاعتراف بأن الكوكب مقبل على متغيرات لا مهرب منها، اذا استمرت وتيرة تسخين الارض الجارية حاليا على ما هي عليه، والعاملون في هذا الميدان، مثلهم مثل غيرهم من الاختصاصيين، والمتتبعين لقضايا المناخ، يختلفون في تقدير حجم واتجاه النتائج، او الانعكاسات الفعلية، التي ستترتب على التغير المتوقع في درجة حرارة الارض، وارتفاع منسوب البحار والمحيطات، واثر ذلك على الحياة الانسانية والحياة النباتية والحيوانية، الا ان المؤكد هو ان الأكثر تفاؤلا من بين هؤلاء، يعترف بان ما نحن مقبلون عليه هو ليس مجرد «اضطراب» عادي، وان الامر يتعلق حسب اكثر الاراء تفاؤلا بـ«انقلاب دراماتيكي»، لم يسبق ان حدث ما يشبهه الا قبل مئات الالاف من السنين، ولا يخلو الامر من جدال بين هؤلاء يدور عادة حول العديد من القضايا وبالخصوص حول «الاحتمالات غير المحسوبة»، من قبيل تلك التي عرضها واحد من افلام السينما الاكثر تشاؤما، مع انه لا فرق ولا حدود في مجال الفرضيات العلمية، بين التشاؤم والتفاؤل، والذين لا يعرفون مسارات «العلوم»، وكيف تستقر الحقائق والقوانين، واي الطرق تسلك قبل ان تتحول الى قواعد معتمدة، قد لا يدركون بان عالم الفرضيات المتضاربة، والتجريب، والمراقبة، والاختبار والاصرار شبه الاعمى، هي السبل التي توصل في نهاية المطاف الى «الحقيقة» العلمية، وان كل الاحتمالات قبل ذلك تظل ممكنة ومتوقعة، ولا يمكن رفضها حتى اللحظة التي يتم التأكد عندها قطعا وبالتجربة، من «القانون» النهائي.

ولا يمكن اطلاقا الجزم بخصوص مسارات الظواهر، او ضبطها ضمن ايقاع معين، قبل ان نكون على بينة كاملة من حدودها، ومن الاحتمالات المتصلة بها وبتفاعلاتها، الامر الذي يجعل الانسان بما هو عليه من معارف وعلوم متاحة حاليا، اضعف بكثير من ان يواجه هذا «الطارئ» غير البعيد، خاصة وانه لا يريد كما نعلم القيام بمقتضيات الوقاية اللازمة، ومعروف الموقف الامريكي من هذه القضية، كما ان الامر برمته يعود بالاصل لاسباب نابعة من «سوء ادارة الكوكب»، اي من الاخطاء البشرية والجشع المهيمن على علاقة الانسان بالانسان وبالبيئة، وقد يكون التحفظ الشائع حاليا بين العلماء، نابع من خلفيات مصدرها نفس السياق، دون ان نستبعد حتى التدخل المباشر، والضغوط، والتهديدات، واذا ما صح ذلك فان الجريمة تصبح اعظم بكثير، والاستهتار بمصير البشرية والحضارة، ووجود الانسان، يصل الى درجات جنونية لا يضاهيها حتى جنون اختراع السلاح النووي وسباق التسلح، مع ان هذه القضية «الجديدة» والمتصلة بالعصر القادم، من عصور الحضارة والتاريخ، لم تستثر بعد الوعي الملائم، ولا الادراك الذي يستوجب الرفض العالمي المطلوب، لهذا النوع من التحكم والاستهتار الممارس من قبل حفنة من الدول والحكومات باجمالي مصير الانسانية وبالوجود الحي برمته.

من الاخبار او المقالات المتفرقة، والتصريحات الشحيحة الصادرة عن بعض المختصين، نعلم مثلا بان بريطانيا هي من الاماكن التي ستغمرها المياه، بفعل زيادة منسوب البحار والمحيطات المتوقع بفعل ذوبان القطب الشمالي او الجنوبي، ولكن قائمة المدن الساحلية المرشحة للاختفاء، تبدو طويلة جدا، وبما يتعلق بالعالم العربي، فان مدنا ساحلية مثل الاسكندرية، وبورسعيد، والاسماعيلية، وبيروت، واللاذقية وبانياس، وطرابلس اللبنانية، وغيرها، مرشحة للاختفاء، ابتداء من الخمسين سنة المقبلة حسب بعض التقديرات، وفي فترة اقرب، حسب تقديرات اخرى، اذ يعتقد مختصون ان نهاية العقود الثلاثة المقبلة، ستكون بداية العد العكسي لوجود تلك المدن الزاهرة، والعريقة، وذات الدلالات في التاريخ والوجدان، وهذه فترة ليست بعيدة، انها تساوي فترة حكم البعث وصدام حسين في العراق، وقد جاء البعثيون الى السلطة وصدام في الثانية والثلاثين من عمره، وها هو اليوم ما يزال، قويا وقادرا على المحاجات والقاء الخطب العصماء، وهو في قفص الاتهام.

وان المرء ليصاب بالدهشة حين يعلم بان مشروع مكتبة الاسكندرية، قد اصبح جاهزا قبل جيل من بدء نهاية عمر هذه المدينة التاريخية المطلة على المتوسط، فحكم الاقدار كثيرا ما يسابق ارادة البشر، غير ان موت المدن او اختفاءها، ليس من الاحداث المعتادة او الواجب توقعها.

والشيء نفسه ينطبق على مشاريع تبدو جبارة، وجشعة، ومخالفة لروح جزء من العالم هو مهده الاول، فالسدود التركية هي من دون شك، كفر بالحقيقة، وافتراء على الاقدار، ذلك لان الانهار لا تملك بحكم مكان المنبع، واذا كان هنالك من معنى للنهر في التاريخ، وفي الحضارة الانسانية، فان «النهرين» العظيمين دجلة والفرات، هما ملك من صاغوا باسمهما ومن روحهما، اعظم المنجزات الانسانية الاولى والوسيطة، واليوم تقول «التقنية» والقوانين الدولية، ان مياه دجلة والفرات، ستباع الى ارض سومر واكد بابل وبغداد من قبل مالكي المنبع، فهل هذا نذير موت معنى الحضارة؟ اغلب الظن ان قصة اخرى تبدأ الان على اكثر من منحى، تاركة اصداءها في البدء العراقي الجديد الصاعد على وقع غزو وسقوط اعظم الامبراطوريات.

سوف تنهار على الاغلب تباعا سدود تركيا، او تتحول الى عمل عبثي مضر، ومخرب، وعابر في المجال الزمني، فالتقديرات المناخية المتوقعة، والتي سترافق تطورات العالم المناخية تقول كما يتوقع الخبراء بان منطقة الشرق الاوسط والعالم العربي، سوف تشهد تعاظما مطريا، ان الله والقدر لا يتخليان عن موضع واسطورة الخلق والوجود الاول.. ابدا. وما ينتظره هذا الجزء من العالم سيفضي حتى الى اخضرار الجزيرة العربية من جديد، وهذه دورة معروفة، وسبق ان مرت على المنطقة في العصور القديمة، وهو ما يعني تكذيبا خارقا لنظرية شحة مصادر المياه، مع ما يتصل بها من توقعات عن «حروب المياه» التي يتوقع قيامها في العقود القادمة.

ثمة انقلاب مقبل على المنطقة والعالم، يخالف مسار وأسس الستراتيجيات الحضرية والسكانية والمائية الموضوعة قيد البحث، او التمدين في المنطقة، وثمة كوارث اكيدة قادمة، وفوائد من المتوقع ان تعود على المنطقة، فالزيادة الضخمة في منسوب الامطار، من شأنها ان تغير اتجاهات وتركز الحضر والمدن وتبدل خريطة التموضع السكاني، وتوسع مجالاتها، وذلك من شأنه ربما التعويض عن خسارات مدن، من المفترض المبادرة اليوم الى البحث في وسائل الحفاظ على ذاكرتها، واعداد المقترحات والخطط بخصوصها، بما في ذلك امكانية استنساخها، او اعادة بنائها، كذلك من اللازم التفكير باضافة موضوعات جديدة، تتعلق بالاحتمالات المتوقعة والراجحة مناخيا، وانعكاسات ذلك بالذات على بلد مثل تركيا، الامر الذي يمكن ان يغير اتجاهات البحث المعتادة، بين الدول المستفيدة من نهري دجلة والفرات، اي سورية والعراق وتركيا، ولا بد لتركيا من ان تراجع سياساتها الخاصة بحجب مياه النهرين، وان تبادر خصوصا الى وقف العمل بمشاريعها على نهر دجلة، لان ما تفعله واجمالي الستراتيجية المائية المعتمدة من قبلها حتى الان، يمكن ان تعرض تركيا نفسها مستقبلا، للخطر، وقد تتحول السدود المشادة او التي هي قيد البناء، الى مسببات لفيضانات مدمرة، هذا اذا لم تضطر الحكومة التركية الى اهمالها اجباريا في وقت غير بعيد.

اجمالا هنالك الكثير مما ينبغي ان يشغل اليوم المختصين بشؤون البيئة، والمدن والمناخ، واثره على الحضارة والسكان، كما ان هنالك ما يستوجب البحث في المستقبل الحضاري لهذه الجهة، والجيد في الامر ان تاتي هذه النذر بينما المنطقة تشهد «فورة نفطية ثانية»، فازدياد العوائد، وظهور بوادر الانقلاب المناخي، يوحيان بتوافق فريد، يمكن ان يتيح للمنطقة مجالات توظيف او استثمار مستقبلي، يتداخل اليوم مع انقلاب واضح في موضوعات الاستثمار، ووجوه التوظيف، فما تشهده المنطقة والعالم ليس اقل من ثورة.

والثورات التي من هذا النوع لا تصنعها الحكومات، ولا يمكن ان تكتمل من دون دور للافكار المطالبة بشدة اليوم بـ«قلب المنظور المتوارث للسكن اي للجغرافيا المناخية العربية المعروفة عن طريق تفنيد وهز ثوابته..... سفينة الطبيعة تتحرك، والمشاهد ستتغير وكذلك نوع النسمات وحرارة الارض والسماء: ولا قبطان ينظر في رحلة البدء الحالي افضل من الفكر ومغامرته»..

* كاتب من العراق يقيم في باريس

في «حاج عمران»

حصان طروادة امريكي يرصد ايران!

جمال محمد تقي*

تشهد منطقة حاج عمران تحركات متداخلة هذه الايام، وتتزاحم المهام فيها، بسبب اهمية موقعها الجيوسياسي، فهي تقع في اقصى الشمال الشرقي العراقي، قرب المناطق المتاخمة للحدود الايرانية، وبدرجة اقل للحدود التركية، عبرالتاريخ كانت عينا مفتوحة على عبور متبادل لموجات النزوح والغزو والاجتياح، منذ ايام اكاسرة الفرس واباطرة الروم، حتى وقت قريب من التاريخ الحديث.

حاج عمران منفذ طبيعي استراتيجي في منطقة جبلية مرتفعة ووعرة، منها دخل فاتحو الغرب بعد ان أمنوا ظهورهم في بلاد الاناضول وشمال بلاد الرافدين، وعبرها خرجت موجات من مصارعي وسط اسيا للقاء خصومهم القادمين من الغرب، وكانت لهذه البوابة دورها في حركة الكر والفر بين الصفويين والعثمانيين في الايام الخوالي، وما زالت تحتفظ «حاج عمران» بحيوية دورها الاستراتيجي، كلما توترت واشتدت المناوشات الحربية بين العراق وايران، او كلما اراد احد المحتلين التحرش بايران من شمال العراق، او اذا اراد مهربو التموين والسلاح اغتنام فرصة تزايد الطلب على البضائع المدنية والعسكرية بين الجانبين لتنشيط تجارتهم.

على طول الشريط الحدودي الممتد من حاج عمران شمال اربيل حتى قضاء خانقين التابع لمحافظة ديالى مرورا برانية، وقلعة دزة وغيرها من النواحي المجاورة للحدود الايرانية، ينشط اليوم رجالات مخابرات الامريكان والاسرائيليين المدربين على المهام الخاصة والذين يكونون في الغالب من اصول مقاربة لساكني المناطق المراد العمل بها، فتجدهم من اصول ايرانية او كردية او عربية وهكذا، وهذا لا يعني انعدام العناصر من الاصول الاخرى المهم انهم جميعا يعملون تحت اسم سري لعملية سرية تخضع في تتبع مسارها لأجهزة الـ«سي آي ايه» بالاستفادة من خبرة الموساد ورجالها الذين يتمتعون بباع في العمل باجواء المنطقة، فهم اصحاب اختصاص ومصلحة مباشرة لمعرفة واستطلاع تطوراتها التي تؤثر بشكل مباشر او غير مباشر على امن دولتهم المزروعة زرعا بهذا الشرق العربي الاسلامي، وبغرس مهجن ينمو في اشبه ما يكون ببيوت زجاجية، تنشد الحماية والرعاية الدائمة، ولا بد لهؤلاء جميعا من محيط حاضن، ومساعدين محليين، وهذان العنصران قد توفرا عندما تحركت الريح الامريكية تتوجس شرا اكيدا لايران، فصار «مجاهدي خلق» طوع البنان الامريكي بعد ان كانوا طوعا لبنان حكم العراق، وصار مقاتلو حزب العمال الكردي الايراني شركاء مستخدمين في هذه اللعبة، اما جبهة تحرير الاحواز، فهي ولضيق مساحة تحركها بسبب من ضعف حاضنتها على الجانب العراقي فانها اصبحت برأسين احدهما يتخفى مع امدادات القوات البريطانية في البصرة والعمارة، بما في ذلك معسكر ابو ناجي، وفرقة المهام الخاصة التابعة للاستخبارات العسكرية البريطانية في البصرة وسواحلها، وراس اخر في مناطق حاج عمران، للقيادة البديلة والسيطرة والاتصالات والتنسيق مع القوى المجندة الاخرى في الجانبين العراقي والايراني، اما الحاضنة المحلية فقد انفضح امرها ولم يعد سرا، انها مجاميع خاصة من رجالات الاسايش، المدربين امريكيا واسرائيليا والتابعين اصلا لاجهزة الامن الخاضعة لحزبي الطالباني والبارزاني، وللاول حظ اكبر في المساهمة بحكم مناطق نفوذه الممتدة بمحاذاة إيران.

البيوض في سلة امريكا تؤكل ولا تفقس!

لا تضعوا بيوضكم في سلة الامريكان، لان من سبقكم قد فعلها وضاع بيضه، اما اذا كنتم من الذين يبتغون الارتزاق فهذا شأن اخر!

لقد باعوا شاه ايران نفسه عندما ادعت ضرورتهم ذلك، ليس لهم صاحب ولا صديق، يبيعون اقرب اقربائهم اذا كان البيع يحقق ربحا مطلوبا، فلا تكونوا لهم اقنعة يلبسونها، ولمرة واحدة، ثم يرمونها في سلة المهملات!

باعوا مصطفى البارزاني مرات ولم يأسفوا عليه! وباعوا حتى شعاراتهم التي يتغنون بها!

ان الفصل القسري بين النضال من اجل الديمقراطية والحرية عن النضال من اجل الاستقلال الوطني، ثم الفصل بين الاعداء المحليين والدوليين، كل هذا الفصل يجعلكم تنفصلون عن شعوبكم واوطانكم وتبقون على هامش الحدود هنا وهناك تنتظرون من يستأجركم!

* كاتب من العراق

المثقف السعودي: إلى متى الصمت في عصر العولمة؟

احمد العلي*

■ تسيطر على أوجه الحياة الثقافية والفكرية في المجتمع السعودي، السلفية الدينية المعروفة بـ«الوهابية» التي تعبر عن ثقافة واحدة مستبدة لا تسمح بالتعدد في نطاقها الخاص فضلا عن التعدد بمفهومه الواسع، وتمسك بيدها مجموعة من السلطات التنفيذية لتحقيق الوحدة والانسجام في الحياة الثقافية، فكل ما يدعو إلى المذاهب الأخرى في الدائرة الإسلامية مرفوض باعتبار أن المدرسة السلفية تعبر عن الحقيقة المطلقة والتفسير مطلق الصحة للدين، وهي كذلك ترفض الثقافات من خارج الإطار الديني كالليبرالية والاشتراكية والوطنية، ولتحقيق الاندماج الثقافي الاستبدادي ذي الطبيعة القمعية، تفرض السلطات الرقابة الصارمة على المطبوعات سواء كانت كتبا ورقية أم الكترونية أو مواقع انترنت أو صحفا ودوريات محلية وخارجية، أما على الصعيد القضائي والأمني فيخضع الكتاب والمثقفون السعوديون من داخل الحلقة الدينية وخارجها من المحسوبين على الليبرالية أو المذاهب الأخرى كالشيعة لمراقبة صارمة، نتج عنها الحكم بالجلد والسجن والمنع من الكتابة لعدد من الكتاب لمخالفتهم النظام الديني والثقافي والفكري السائد والذي يسيطر عليه المتشددون، أتذكر أن أجهزة الأمن استدعت احد المواطنين لان اسمه يشابه اسم احد المطلوبين امنيا لكتاباته المناهضة للحكومة السعودية على شبكة الانترنت!! في ظل هذا الكبت الشامل والسيطرة واسعة النطاق أصبح الخوف من الاعتقال الديدن والمفصل في النشاط الفكري والثقافي للمثقف السعودي على مختلف الأوجه والأنشطة وأصبح التحفظ السمة البارزة في أنشطته الباطنة والظاهرة، هل يستطيع المفكر الديني التجديدي أن يقول ان الشيعة ينتمون إلى مذهب إسلامي كبقية المذاهب وان على الجميع احترامه وان لغة التشدد ومنطق التكفير لم يعودا مجديين ولا بد من قبولهما إلى جانب المذاهب الإسلامية السنية وفي مقدمتها المذهب السلفي!!

هل يستطيع القول أن المسيحيين واليهود ينتمون إلى أديان سماوية كريمة ومحترمة وان من حقهم ممارسة دينهم داخل المملكة وانه لمن العار أن يمارس المسلمون دينهم في بلاد الغرب المسيحي بحرية، بينما لا يتمكن المسيحيون من ممارسة شعائرهم بحرية داخل البلاد الإسلامية وعلى رأسها المملكة!! يا ترى عندما يطل على شاشة التلفاز محلل مالي أو منظر ليبرالي هل يستطيع القول بما يؤمن به على الصعيد الوطني أو الإقليمي؟ هل سيقول عند تحدثه عن الفساد ان السعودية تحتل المرتبة الـ70 على سلم الفساد عالميا، هل يستطيع القول ان العائلة المالكة تستنزف الميزانية العامة للدولة وليس هناك من فرق بين مخصصات العائلة والميزانية العمومية؟ هل يستطيع أن يكتب احد في الصحف عن سبب عدم تحول المملكة إلى دولة صناعية أو زراعية واعتمادها فقط على البترول رغم تمتعها بكافة الإمكانيات والثروات التي تؤهلها للتقدم الصناعي والزراعي؟ هل يمكن للمثقف أن يدعو إلى دستورية البلاد وإنهاء سيطرة السلفيين المتطرفين على الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية؟ لا يمتلك المثقف والكاتب السعودي مساحة حقيقية وواقعية للإدلاء بما يعتقد به، لذلك تراه يستخدم المقدمات التجميلية والمصطلحات الدبلوماسية ويكيل المديح المشوب بثقافة الخضوع والاستكانة لإيصال رسالته الإعلامية سواء بالقول أو الكتابة، وكأنه يعيش في العصور الوسطى! قرأت ذات مرة أن ملكا مستبدا رأى في المنام حلما مزعجا، فطلب مفسري الرؤية على عجل، قال له احدهم إن جميع أهل بيتك سيموتون!! غضب الملك وأمر بقتله حالا، وظل الأمر على هذا المنوال، فكل من يفسر له رؤيته بمثل هذا يأمر بقتله على الفور، فجاءه احد المفسرين وطلب منه الملك على جري عادته تفسير الحلم والسياف يستعد لضرب عنقه كالمعتاد، إلا أن المفسر بانت منه الحكمة وبعد تفكير وإسهاب قال له: انك أطول أهل بيتك عمرا! فرح الملك وأمر له بجائزة!! لا شك أن لا اختلاف بين قول: سيموت جميع أهل بيتك في حياتك وبين انك أطولهم عمرا، كل ما في الأمر أن الملك المستبد الذي لا حدود لاستبداده وسلطته مطلقة سيغضب وسيأمر بقتله دون وازع من قانون أو ضمير.

إن المملكة السعودية تمثل نظاما مطلقا من أنظمة القرون الوسطى يعيش في الألفية الجديدة، فالسلطة مطلقة بيد العائلة المالكة وتستطيع فعل أي شي تريده، ورجال الدين يتمتعون بهامش واسع وسلطات قوية تمكنهم من التضييق والتهميش ضد مناوئيهم من التيارات الأخرى دينية كانت أم ليبرالية، لذلك يضطر المثقف السعودي إلى استخدام مصطلحات تعبر عن رأيه دون مواجهة سلطات القرون الوسطى، عوضا عن قوله: محاربة الفساد المالي والإداري ونهب ثروات الشعب يقول: ترشيد إنفاق المال العام! وبدلا من أن يوضح السبب الحقيقي لعدم تحول المملكة لدولة صناعية يقول بان ذلك يرجع لعدم وضع خطط واضحة المعالم قابلة للتنفيذ وبما عانته المنطقة من حروب ونزاعات خلال الخمسة عشر عاما الماضية، الأمر الذي تسبب بإنفاق المليارات على التسلح!! إلا انه سيتجاهل بالطبع أن من دافع عن المملكة ودول الخليج في حرب الكويت ليست المليارات التي أنفقتها الحكومات الخليجية على التسلح بل بواسطة المليارات التي أنفقتها على قوات التحالف الأمريكي للدفاع عنها!! عندما يكتب احد المثقفين عن سبب عدم حصول المواطن السعودي على قطعة ارض أو سكن نموذجي في دولة عدد سكانها قليل قياسا بالمساحة الإجمالية، يرجع ذلك إلى عدم وجود مؤسسات حكومية وخاصة لتحقيق هذا الغرض المهم جدا على الصعيدين الشعبي والحكومي، إلا انه يغض الطرف تماما عن امتلاك أصحاب السمو ومن حولهم لآلاف الكيلومترات من الأراضي الزراعية والسكنية وغيرها بينما ينتظر المواطن البسيط أكثر من عشرين عاما ليمنح قطعة ارض في مخطط بعيد عن النطاق العمراني، ليس سوى صحراء قاحلة، وليس هناك من اجل محدد لبدء العمل به وتحويله إلى مخطط سكني جاهز للبناء!! أو ربما يمنح قطعة ارض في البحر كما حدث للكثير من المواطنين!، ولا يمكن للمثقف المقارنة أو فتح باب المقارنة بين ما يتمتع به شعب الكويت أو الإمارات من اهتمام حكومي بالسكن وتوفير الوظائف، بينما تعد السعودية من اقل الدول في مجال الإسكان ويعتبر الشعب السعودي من اقل الشعوب حظا في الحصول على سكن وقطعة ارض!! في تناقض سافر مع ما تتمتع به بلاده من سعة في الأرض والمال.

ان النظام الثقافي المستبد الذي يعيش في كنفه المثقف السعودي في القرن الجديد جعل دور المثقفين محدودا جدا وخجولا في مقابل رجال الدين وكتاب السلطة الذين يسيطرون على كل شي ابتداء من الصحف والمطبوعات الأخرى إلى حركة الشارع وتوجيه الجماهير من خلال الجوامع والمساجد، بينما لا يجد المثقفون خاصة من الليبراليين وأتباع المذاهب الأخرى كالشيعة أي منبر يسمعون الداخل والخارج آراءهم ومواقفهم، وإذا ما أتيحت لهم فرصة الكتابة في الصحف المحلية أو مقابلة خاصة على قناة فضائية أو محطة إذاعية، فالويل لمن يطرح آراء مخالفة للقيم الدينية والاجتماعية أو مجافية لسياسات الدولة في الداخل والخارج!! أتساءل: إذا كان المثقف السعودي غير مسموح له بالنقد الذي هو أول لبنة في ممارسة التغيير في أي مجتمع يحترم كينونته، فما هو دوره في المجتمع إذن؟!!

وحدهم من في الخارج وهم قليلو العدد والإمكانيات من يكتبون تعبيرا عما يجول في ضمائرهم وما تحتمه نتائج بحوثهم وقراءاتهم، ماذا يفعل مثقف الداخل في ظل نظام ثقافي أحادي يسيطر عليه السلفيون المستبدون في دولة تحكم بمنطق القرون الوسطى في عصر العولمة والألفية الثالثة؟ في استفتاء على الانترنت عن الدولة رقم واحد التي تحارب الحرية على الانترنت في العالم العربي، احتلت السعودية الدرجة الأولى مع مرتبة الشرف!! ونالت المملكة جائزة عام 2004م لحجب مواقع الانترنت وهي جائزة ساخرة رمزية لأكثر الدول حجبا لمواقع الانترنت !!

إنني انصح المثقفين السعوديين احد أمرين: الأول أن يكتبوا ما تحتمه عليهم إنسانيتهم ومبادئهم ونتاج ما توصلوا إليه من بحث واستقراء بأسماء مستعارة على الشبكة العنكبوتية والصحف الخارجية، أو يهاجروا من المملكة ليكتبوا كل ما يدور في خواطرهم، حيث لا رقابة على العقل أو الرأي أو الفكر أو الضمير، حرية حقيقية يعيشون بها إنسانيتهم قبل كل شي ويشكلون من خلالها تكتلا يواجهون به الاستبداد والقمع، وإذا لم يستطيعوا لا هذا ولا ذاك فحريا بهم أن يتوقفوا جماعيا عن الكتابة في احتجاج سلمي واسع النطاق على قمع الفكر ووأد الرأي الحر، لتصدر الصحف السعودية خالية من كتابها، عل ذلك يدفع السلطات إلى تقديم تنازلات وما أظنها ستفعل!! إن القلم مسؤولية وقد اقسم به الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، فان لم يكتب به ما يزيح ستار الظلام فحريا بالكاتب أن يضعه في خزانته، إلى أن يستطيع يوما ان يكتب به أحرف الحرية ويرسم به طريق النور للأجيال القادمة.

* كاتب من السعودية

غوانتنامو الشاذة

يحيى اليحياوي*

■ لعله من الميزات الكبرى «للحرب الكونية على الارهاب» (التي دشنتها الادارة الامريكية في اعقاب الحادي عشر من ايلول/سبتمبر وسطرتها من يومه عقيدة للعالم اجمع) انها اذكت غريزة الافراد والجماعات لمعرفة نقطة تواجد هذه الدولة او تلك، لترسيم حدود هذه الدويلة او تحديد مكان هذه الجزيرة على اليابسة كما بوسط البحار والمحيطات.

والواقع ان العديد من سكان هذا الكوكب (المتقدم منه كما المتخلف سواء بسواء) لم يكن ليعرف حدود افغانستان (ولا لون بشرة اهلها ولا كهوفها وادغالها ومغاراتها وتفشي زراعة الافيون من بين ظهراني ابنائها) الا حينما غزتها جيوش امريكا واحتلتها ارضا وشعبا وطافت شعابها وجبالها ومداشرها وحدودها مع جيرانها للبحث عن «بقايا طالبان» و«القاء القبض على زعيم القاعدة حيا او ميتا».

والواقع ايضا ان العديد من سكان الكوكب اياه لم تكن لتعرف حدود العراق ولا موقع عاصمته (ناهيك عن تشعب طوائفه وتباين انتماءاتهم ومرجعياتهم) لولا الغزوة الانكلوامريكية الكبرى التي طاولت العراق وحولته الى مجرد مستعمرة امريكية تأتمر بأوامر الحاكم الامريكي العام حتى باعتقاد بعض من «ابنائه» انهم باتوا من مدة مكمن سيادة واستقلال.

واذا تسنى للمرء التسليم بهذا، فانه من البديهي تسليمه بحقيقة انه لولا غزوتي العراق وافغانستان لما كان له ليعلم حقا بوجود سجن يدعى ابو غريب (حتى وان خبر العراقيون ما يجري بداخله) او بوجود معتقل غوانتنامو حتى بمعرفة سكان امريكا الوسطى بوجود جزيرة من بين ظهرانيهم تعج بالامريكان بداخلها كما من حولها كما بشتى اطرافها.

لا تعرف غوانتنامو، منذ مدة، كجزيرة بقدر ما اشتهرت كقاعدة عسكرية «يرتادها» اناس من «طينة خاصة» شاءت الظروف والسياقات ان تحط بهم الرحال هناك مع مقدم القرن الجديد.

تقع غوانتنامو بين خليج المكسيك وبحر الكاريبي (حوالي 121 كيلومترا مربعا) اكترتها الولايات المتحدة من كوبا في العام 1903 على عهد الرئيس ثيودور روزفلت مقابل مبلغ مالي سنوي يقدر بحوالي دولارا تسلم كاسترو نصيب العام الاول من الثورة منه ورفض تسلمه من تاريخه كونه متأت من احد «كبار اعداء له يتحكمون في قاعدة عسكرية فوق بلاده».

ولما كان امر استرجاعها يشترط موافقة الطرفين، فان الجزيرة تبقى لحد الساعة ملكا نظريا لكوبا في حين انها عمليا جزء من السيادة الامريكية يسري عليها ما يسري على الاراضي الامريكية واكثر.

لم يكن المرء ليقف عند هذه الجزئية الجوهرية لولا تحول الجزيرة الى معتقل من نوع خاص اعاد للذاكرة معتقلات سيبيريا على عهد ستالين ومراكز تجميع اليهود (وسواهم) باوشفيتز في بولونيا في اربعينات القرن الماضي.

والواقع ان شهرة هذا المعتقل لم تتسن له فقط كونه متواجدا بأراض كوبية مصادرة السيادة ولا من كونه موجودا بقاعدة عسكرية، ولكن بالاساس لكونه يضم بين زنازنه «محاربين لاشرعيين» ألقي القبض عليهم بافغانستان بعد اسقاط حكومة «طالبان» ومطاردة اعضاء تنظيم «القاعدة» بين المداشر والجبال والكهوف او لجوئهم الى الدول المجاورة تحت حماية متعاطفين معهم، متبنين لطرحهم او مناهضين للامريكان جملة وبالتفصيل:

ـ هم نفر من اكثر من 750 شخصا ومن اكثر من عشرين جنسية (ومن اجيال مختلفة) زج بهم منذ خريف العام 2001 بطائرات عسكرية مقيدي الايدي، معصوبي الاعين، مغطاة رؤوسهم بأكياس سوداء وصلوا المعتقل (بعد ايام وساعات بالجو او مرورا عابرا بهذا المطار او ذاك) مرهقين، مدنسين في نجاستهم من الصدر حتى أخمص القدمين وبعضهم لا يدري بأي كوكب في الكون حطت به الرحال.

ـ وهم شباب وكهول وصبية زج بهم بزنزانات فولاذية هي عبارة عن اقفاص معرضة لكل انواع العوامل الجوية يخال للمرء معهم (وهم مرتدون لثياب ارجوانية تقترب من الحمرة او مساقين كالدواب) ولكأنهم محكومون بالاعدام ينتظرون بين الفينة والاخرى الدفع بهم الى المقصلة.

ـ وهم لا يعرفون تهمهم ولا «الجرائم» التي اقترفوها ولا القانون الذي سيحاكمون بموجبه ولا صفة الذين يحققون معهم ليل نهار وتحت طائلة اية «معاهدة» هم موضوعون.

هم بالتأكيد جاهلون لكل ذلك، لكنهم على علم بأن وضعهم «القانوني» هو وضع «المحاربين اللاشرعيين» او «المقاتلين غير الشرعيين» وفي احسن الاحوال «الاشخاص المشبوهين في علاقاتهم بالقاعدة وطالبان»، وان تهمتهم الاساس تكمن في كونهم ارتكبوا «جرائم ارهابية» في حق ابرياء مباشرة يوم الحادي عشر من ايلول/سبتمبر او بمجرد التعاطف مع منفذيها.

هم ليسوا سجناء حق عام بالتأكيد ولا مجرمي حرب. ولما كانوا كذلك «فلا تنطبق عليهم معاهدة «جنيف» ولا ملاذ لديهم للتظلم امام المحاكم الفيديرالية الامريكية كونهم اعتقلوا خارج الولايات المتحدة».

يقول رامسفيلد بشأن هؤلاء: «لقد اثبت ان هؤلاء هم ارهابيون بالفطرة... فنحن نبعدهم عن الشارع ونبقيهم خارج الطائرات بعيدا عن محطات الطاقة النووية وبعيدا عن الموانئ في هذا البلد وفي بلدان اخرى».

هم معتقلون بمرسوم رئاسي وقعه جورج بوش واجاز من خلاله احتجازهم الى ما لا نهاية ودونما توجيه تهم محددة لهم او تعيين من يعاضدهم بالتحقيق او يعمد الى تسريع مقاضاتهم لينتهي الكابوس ولو نهاية درامية ويغلق الملف.

قد لا يزايد المرء على دولة كالولايات المتحدة (ضربت في رموزها وبصلب عنفوانها بوضح النهار) حقها في حماية أمنها ومتابعة من يستهدفه دولة كانت ام جماعة ام فردا. وقد لا يزايد عليها حقها في تأمين حدودها القومية ضد هذا الاختراق «الارهابي» او ذاك.

لكن الذي يثير الحسرة والأسى في السلوك الامريكي انما اتخاذ الأمن كايديولوجيا لمعاقبة دول واحتلالها والزج بابناء هذه الاخيرة في معتقلات علنية وسرية بدون موجب حق يذكر اللهم الا الشبهة او التواجد بالمكان الخطأ عندما كانت القوات الامريكية تلقي القبض على كل من يتحرك (بمزرعته او بسيارة اجرته او بما سواها) فتتهمه جزافا او تعمد الى اطالة امد احتجازه الى ان يعترف بما اريد له الاعتراف به.

وعلى الرغم من اطلاق سراح بعضهم (حوالي 200 الى حين العام 2004 دونما تبرير يذكر)، فان الباقين لا يعرفون مآلهم حتى وان انصفتهم المحكمة الامريكية العليا وقضت بامكانية لجوئهم للمحاكم الفيديرالية للطعن في خلفية اعتقالهم او «تعويض» بعض من مأساتهم ومعاناتهم.

لا يقتصر الامر عند هذا الحد، بل يتعداه الى اعتبار حرب بوش على الارهاب (من لدنه كما من لدن ادارته وحلفائه) «حربا عادلة» لضمان نجاحها تستنفر السبل والوسائل المقبول منها اخلاقيا كما المرفوض سواء بسواء.

وعلى هذه الأسس، فان ابقاء هذا المعتقل واستمراره هو ليس فقط اهانة للاخلاق (كل الاخلاق المتعارف عليها)، بل وايضا اهانة لبني البشر في آدميتهم قبل باقي حقوقهم... انه رمز الشذوذ الذي طبع ولا يزال يطبع السلوك الامريكي... انه قمة الشذوذ حقا.

* باحث واكاديمي من المغرب

باي باي لاهاي، او لا هاي ولا باي؟

زهير اندراوس*

■ بعد ان انتهى العدوان الامبريالي الكولونيالي على العراق، وبعد ان تورطت امريكا قيادة وشعبا في الوحل العراقي، باشرت اسرائيل بحملتها الموتورة ضد البرنامج النووي الايراني، زاعمة انه يشكل خطرا استراتيجيا على أمنها، وفي هذا السياق كشفت من مساعيها الحثيثة بهدف اقناع ادارة الرئيس جورج بوش اوروبا بضرورة توجيه ضربة عسكرية للجمهورية الاسلامية بغية القضاء على منشآتها النووية. لكن هذا الاسبوع تبين لنا ان الدولة العبرية قررت فتح جبهة اخرى في هذه القضية والتي تتمثل في التوجه، عبر عدد من دبلوماسييها، الى محكمة العدل الدولية في لاهاي وتقديم دعوى قضائية ضد الرئيس الايراني محمود احمدي نجاد، لانه وفق هذه الرؤية اقترف جرائم ضد الانسانية عندما تحدث عن القضية اليهودية (صحيفة يديعوت احرونوت الـ